(2) الرواد والتجربة الشعرية الجديدة (أ)

على الرغم من مظاهر الثبات التي حافظت عليها قصيدة الشعر العمودي منذ نشأتها في العصر الجاهلي حتى عصرنا الراهن، فقد شهدت منذ القديم محاولات متكررة للخروج على قواعدها الموروثة، و يمكن اعتبار ما دعا إليه الشاعر أبو نواس (ت 199هـ) من ترك المقدمات الطللية وإثبات المقدمات الخمرية محلها¹، يمكن اعتبار ذلك أول محاولة للخروج على أنموذج القصيدة العمودية، لكن محاولة الحسن بن هانئ لم تلق أية استجابة من قبل غيره من الشعراء، لأنها أولا لم تجد الاستجابة الكافية لدى عامة الناس الذين ألفت أذواقهم الأنموذج القديم، وبحكم ما في ذكر الخمر من الاستقزاز الديني ثانيا، ولأنه - من الناحية الفنية - لا يمكن الإقرار بأي بديل موضوعي عن المقدمة الطللية مع ادعاء التحرر من القيود الفنية القديمة، لأن الدعوة إلى التحرر من شأنها أن تنفي المقدمة الطللية من غير أن تدعو إلى إثبات مقدمة أخرى بديلة عنها خمرية أو غيرها.

ولم يطل الزمن بمحاولة أبي نواس حتى خرج أبو العتاهية (ت 213هـ) إلى الناس بقصيدة يقول فيها:

لِلْمَنُونِ دَائِرَاتٌ يُدِرْنَ صَرْفَهَا هُنَّ يَنْتَقِينَنَا وَاحِدًا فَوَاحِدًا

0//0// 0//0/ 0//0// 0//0/ 0//0// 0//0/ 0//0// 0//0/

ولو تأملت لوجدت وزنها على التفعيلات (فاعلن متفعّلن فاعلن متفعّلن) وهو مقلوب البسيط الذي لم يُستعمل من قبل.

¹ ينظر: ابن رشيق، العمدة،

ثم محاولة الشاعر رزين العرّوضي (ت247هـ) في قصيدته التي يقول فيها:

قربوا جمّالهم للرّحيل غدوة أحببتك الأقربون
خلفوك ثم مضوا مُدلّجين مفردا بهمك ما ودعوك²

وترى أن تتابع المتحركات والسواكن المناسب للشطر الأول جاء على النحو التالي: 0/0//0/0//0//0//0/ ويصعب تحويله إلى تفعيلات بسبب شذوذه عن قواعد الشعر المعروفة.

وظهر أيضا ما يسمى بشعر البند الذي يقتصر على تكرار تفعيلتي الرمل (فاعلاتن) والهجج (مفاعيلن)، من دون الالتزام بعدد معين من التفعيلات.

وفي العصر الحديث تواصلت محاولات التجديد في قالب الشعر العربي، حيث نشر أحمد فارس الشدياق عام 1855 أنموذجا من الشعر المرسل يقول فيه: ساعة البعد عنك شهر وعام الـ وصل يمضي كأنما هو ساعة

ويخفق مني القلب إن هبت الصبا ويذكرني البدر المنير محياك

ألا ليت شعري كم يقاسي من الهوى وأنحائه قلب يزوب تجلدا³

والملاحظ في ذلك أن الشدياق يمزج في قطعة واحدة بين أوزان مختلفة بدأها بالخفيف ثم الكامل ثم الطويل مرتين، كما أنه يخالف بين الأبيات في الروي والقافية.

² ياقوت الحموي، معجم الأدياء، دار المأمون، القاهرة، 1936، ج15، ص:266.
³ أحمد فارس الشدياق، الساق على الساق فيما هو الفاريق، مكتبة الحياة، بيروت، دت، ص:395.

ثم نشر الشاعر خليل شيبوب قبل عام 1936 قصيدة (الصراع) ضمن نوع شعري جديد سماه (الشعر المُطلق) جاء فيها قوله:

هدأ البحر رحيبا يملأ العين جلالا

وصفا الأفق ومالت شمسه ترنو دلالا

وبدا فيه شرع

كخيال من بعيد يتمشى

في بساط مائج من نسج عشب

أو حَمَام لم يجد في الروض عشا

فهو في خوف ورعب...

والملاحظ أن هذه الأسطر جاءت على تفعيلة بحر الرمل (فاعلاتن)، لكنها لا تلتزم بعدد التفعيلات في كل سطر.

ثم في سنة 1936 ترجم الشاعر على أحمد باكثير مسرحية (روميو وجولييت) مازجا فيها بين عدة أوزان، ثم كتب الشاعر لويس عوض قصيدة (كريالسيون) عام 1937، ونشر الشاعر فؤاد الخشن قصيدته التي لا تختلف كثيرا عن أنموذج الشعر الحر...⁴

و بذلك تكون جميع هذه المحاولات قد مهّدت الطريق للشعراء الرواد في حركة الشعر الحر من الانطلاق في إبداع نماذجهم المبتكرة.

انتهى

⁴ ينظر: شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 41.